الحكومة المؤقتة بتمثيلنا لكافة سكان الفيتنام نعلن اننا من الان وصاعدا ، لا علاقة لنا بفرنسا الامبريالية ، واننا نلغي كافة المعاهدات التي وقعتها فرنسا حول فيتنام ، وباننا نلغي كافة الامتيازات التي حصرها الفرنسيون لانفسهم على ارضنا ... واننا نعلن للعالم اجمع : ان لفيتنام الحق بان تكون حرة ومستقلة ، وقد اصبحت في الواقع حرة ومستقلة ... »

وسارت الحياة سيرا طبيعيا بينما الفرنسيون العزل من السلاح يتفرجون عاجزون عن عمل شيء ، والقوات اليابانية المحتلة ولكن ممثلة دولة مهزومة ، كانت تقف جانبا تنتظر البت بمصيرها . وبدا الفيتناميون واثقون بان الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية ، لن ينتزعوا منهم ما حققوه بنضالهم . وقد جاء في اعلان الاستقلال ما يؤكد هذا الاطمئنان ، حيث قالوا : « اننا مقتنعون بان الحلفاء الذين اعترفوا بمبادىء المساواة في مؤتمرات طهران وسان فرنسيسكو ، لن يترددوا في الاعتراف باستقلال فيتنام » . (!)

ولكن حكم الفيت مينه في الجنوب لم يدم اكثر من شهر واحد . فقد اعترفت اتفاقيات بوتسدام فور انتهاء الحرب بان كامل جنوب شرقي آسيا يدخل في تلك النفوذ والسيطرة البريطانية . واعطي البريطانيون بالتالي سلطة مطلقة للتصرف ولملمة اجزاء الامبراطورية المتناثرة . ولكن بسبب ظروف خاصة في الهند — الصينية كان عليهم ان يشركوا الصينيين في المهمة. ولاغراض احتلالية قسمت المستعمرة الفرنسية الى قسمين وسلم شمال الخط للصينيين ، وتسلم الانكليز الجزء الجنوبي . وكانت اولى المهمات للطرفين تدبير امر الجيش الياباني المهزوم ، واعادة الامن والنظام . ولكن بينما فسر الصينيون هذا الشعار ليعني الاعتراف بالفيت مينه ونظام حكمهم القائم ، فسره البريطانيون في الجنوب على انه الاطاحة بنظام الحكم هذا واعادة السلطة الى الاستعمار الفرنسي .

وفي الثاني من ايلول ١٩٤٥ ، دعت لجنة الفيت مينه الشعبية الى تظاهرة في الجنوب ترحيبا بالممثلين البريطانيين الذين وصلوا سايغون لاقامة مركز قيادة الحلفاء فيها ، ولكن في الوقت نفسه لاظهار مدى قوة الحكم الوطني في الجنوب . ولكن البريطانيين ظلوا يرفضون الاتصال والتعامل المباشر مع الفيت مينه مصرين على الاتصال بهم بواسطة مركز قيادة الجيش الياباني . اما حجتهم في ذلك فكانت ان « الفيت مينه صنيعة لليابانيين ، يتامرون على الحلفاء » . وخلال التظاهرة بدا اطلاق النار ، وكان من الواضح ان تخريب حالة الامن لم يكن ابدا في صالح الفيت مينه ، بل بالعكس فقد كانت مصلحتهم اظهار الامن والاستقرار في ظل سلطتهم. وكان من الواضح انه في صالح الفرنسيين تخريب حالة الامن والنظام .

لقد جاء البريطانيون العريقون في استعمارهم ، بحجة اعادة فرض حالة الامن والنظام في جنوب فيتنام ، فكان ان فعلوا العكس بالضبط . فرضوا حالة الطوارىء واغلقوا الصحف المحلية واعادوا تسليح الفرنسيين الذين اطلقوا سراحهم من السجون ، وامروا بنزع سلاح ميليشيا وشرطة الفيت مينه ومن ثم راحت قواتهم تتحرك ضد نظام الحكم المحلي بصورة مباشرة . وبدا واضحا ان بريطانيا تعد العدة لاعادة تسليم السلطة الى الفرنسيين .

وفي فجر الثالث والعشرين من ايلول قامت القوات الرئيسية بعملية انقلاب سريعة ضد حكومة الفيت مينه في الجنوب . وشهد ذلك اليوم عودة المستعمر الفرنسي ، وارتفاع العلم الفرنسي محل العلم الفيتنامي في سايغون ولكن قادة الفيت مينه تمكنوا من الفرار . ولكن المقاومة بدأت مجددا في اليوم التالي . وعقدت مفاوضات فاشلة بين الطرفين . فالجانب الفيتنامي كان يصر على استعادة الاستقلال الكامل ، بينما الجانب الفرنسي يعرض استقلالا ذاتيا محدودا الى درجة تضمن استمرار السيطرة الفرنسية . وسقطت الهدنة المؤقتة ، وساهمت القوات البريطانية والیابانية (باوامر من القيادة البريطانية) الى جانب القوات الفرنسية لاعادة الاستعمار الفرنسي الى الهند — الصينية .

ومن بعد تثبيت فرنسا اقدامها في الجنوب بدأت تعد العدة لبسط سيطرتها على كل فيتنام . وفي تشرين الثاني ، ١٩٤٦ ، قصف الفرنسيون هايفونغ . وكانت تلك العملية ايذانا ببدء حرب الاستقلال الاولى في الهند — الصينية ، استمرت ثماني سنوات توجها الفيتناميون بانتصارهم الحاسم في معركة ديان بيان فو .

لقد عادت فرنسا الاستعمارية لتسيطر على فيتنام بمساعدة الاستعمار البريطاني والفاشية اليابانية المهزومة وهي مؤمنة بقدرتها في الانتصار على هؤلاء « الصفر » الصغار — كما كانت تسمي الفيتنامي بازدراء — وهي التي احتاجت الى مساعدة القوة البريطانية واليابانية لتعود الى مستعمرتها السابقة . ولكن العنجهية الاستعمارية بالحقد العنصري المرافق لها ، يعمي بصيرة المستعمر ويجعله يتوهم بان الضوء في اخر النفق هو ضوء انتصاره ... بالضبط كما اعمت بصيرة الولايات المتحدة ، وجعلتها تتوهم بانها ترى الضوء في اخر النفق الفيتنامي ، الا انها كانت تتراجع اثر كل مرة كانت تبشر فيها نفسها وعالمها ، بان الانتصار العسكري على الثورة الفيتنامية اصبح في متناول اليد .

وكما ان فرنسا عادت لاخضاع فيتنام وهي واثقة بقدرتها على سحق مقاومة الشعب الفيتنامي — هذا « الاصفر » الصغير — لتفاجأ بمقاومة منظمة ، بقوات منظمة تنظيما جيدا ، وبشعب مساهم مساهمة فعالة في نضال طلائعه المقاتلة ، فان الولايات المتحدة عادت من بعدها بذات الثقة، وربما بثقة اكبر تعتقد ان مهمة سحق الثورة الوطنية التحررية هناك مجرد نزهة مزعجة بعض الشيء لقواتها ، لتفاجأ فيما بعد بانها عاجزة عن تحقيق انتصار عسكري رئيسي ضدها ، ولتصاب بالذهول في النهاية عندما تبين بان الضوء في اخر النفق ، كان الضوء الفيتنامي ...

وقد كانت ردة الفعل الفورية لعودة العلم الفرنسي مرفرفا مكان العلم الفيتنامي ، اضراب عام في العاصمة سايغون . شلت الحياة فيها تماما، ومن ثم بدأت الاشتباكات وتطورت الى حرب مقاومة ضارية . وانسحب

طرد الغزاة اليابان الفرنسيون فأعادتهم بريطانيا

البريطانيون بعد اداء خدمتهم التاريخية للمستعمر الفرنسي ، تاركينه يكمل مهمة الاخضاع . فماذا كان الموقف الفرنسي ؟

لقد عززوا قواتهم في الجنوب بحيث اصبحوا متفوقين عسكريا على الفيتنامي الفقير ، المجبر على التسلح من عدوه ، واستنباط كافة الوسائل وابتداع ادوات قتال ، تعوضه تفوق العدو الفرنسي على هذا الصعيد . حتى القصب وجد الفيتنامي طريقة لتحويله الى سلاح في حرب الاستقلال والتحرير . وقرر الفرنسيون بانهم سيطهرون هذا الجزء الجنوبي من الفيتنام حتى لو اضطروا الى تدمير كل قرية فيها — بالضبط كما فعلت القوات الاميركية ، وقد توهمت قيادتها بان المزيد من الدمار يعني المزيد من اضعاف جبهة التحرير ، حتى اطفاء شعلتها ...

● مسالة الوحدة والموقف الفرنسي

وعندما كان الفرنسيون منهمكين في اخضاع الجنوب ، كانوا عاقدين النية على اعادة توسيع سيطرتهم الاستعمارية على الهند — الصينية . وقبل سبعة اشهر من اقدامهم على قصف هايفونغ ، ومن ثم اقتحام هانوي ، وقعوا مع جمهورية فيتنام في الشمال اتفاقية الاستقلال المحدودة. كان ذلك في اذار سنة ١٩٤٦ . واعترفت فرنسا بموجبها بجمهورية فيتنام كدولة حرة ، لها حكومتها ، برلمانها، جيشها، وماليتها ، وتشكل جزءا من فدرالية الهند — الصينية ومن الاتحاد الفرنسي . فقد اقتصر بالاعتراف بها « دولة حرة » ، فحسب ، لا مستقلة .

وكما ان مسالة الوحدة الفيتنامية بواسطة استفتاء في الجنوب كانت موضوع مماطلة اميركية لرفض الولايات المتحدة هذا المبدا الذي نصت عليه اتفاقيات جنيف سنة ١٩٥٤ . وظلت موضوع مماطلة من قبلها حتى من بعد توقيع اتفاقيات باريس التي عادت فاكدت هذا المبدا . فان الفرنسيين قد وقفوا الموقف ذاته ، ففي اتفاقية اذار ١٩٤٦ ، تعهدت الحكومة الفرنسية فيما يتعلق بوحدة فيتنام ، بان تلبي قرارات الشعب بواسطة استفتاء عام . ولكن هذا الاستفتاء لم يجر . وفي تشرين الثاني من العام نفسه ، قصف الفرنسيون هايفونغ . وفي اوائل سنة ١٩٤٧ اقتحموا

اتهم اميركا ليستقطوا في "ديان بيان فو"

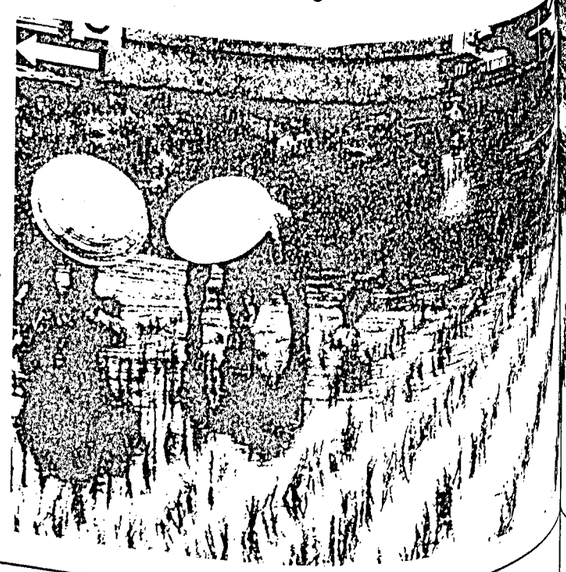

هانوي وسيطروا عليها ، لتبدأ المقاومة الفيتنامية مجددا ، تناضل تحت شعار « الوحدة والاستقلال » .

وكان الفرنسيون قد توصلوا في صيف ذلك العام ، الى اتفاقيات مع انظمة الحكم الملكية في كل من كمبوديا ولاوس ، ولكن «الاحرار الكمبوديين» و « الاحرار اللاوسيين » (وقد عرفوا باسم « ايسارك » اي « الرجل الحر ») الذين لم ترضيهم تلك الاتفاقيات ، لجاوا الى الادغال لمواصلة المقاومة ضد المستعمر الفرنسي . فقد استخدم الفرنسيون عبارة الاتحاد فقط لتامين سيطرتهم الحاسمة على فيتنام ولاوس وكمبوديا . ولم تكن تلك الاتفاقيات تعني اكثر من حالة هدنة مؤقتة استغلها الطرفان . وسعى الفيت مينه في اجراءات عسكرية وسياسية ، لتعزيز سلطتهم، وقام الجنرال فونوين جياب بتوسيع وتعزيز الجيش الفيتنامي ، استعدادا للانتهاكات الفرنسية التي بدات بعملية هايفونغ حيث قتل الالاف من الفيتناميين . فقد كانت باريس تسعى لاستسلام فيتنامي كامل .

ورغم الانتصارات العسكرية التي حققتها القوات الفرنسية في البدء، فقد اتضح لهم بسرعة انهم غير قادرون على الانتصار في فيتنام بالوسائل العسكرية فحسب، فلجات الى العميل المحلي السابق، «الامبراطور» باوداي، ونصبته رئيسا لجمهورية فيتنام لتقسيم الشعب الفيتنامي وافتعال حرب اهلية . كان ذلك في سنة ١٩٥٠ . واستطاعت فرنسا باعترافها باستقلال فيتنام « داخل الاتحاد الفرنسي » ، وبباو داي رئيسا لهذه الدولة ان تعيد طرح نفسها لا كدولة استعمارية تشن حربا لاخضاع شعب يناضل من اجل استقلاله ، بل كقوة تناصر شعبا يناضل ضد «الخطر الشيوعي » ، كما استطاعت ان تطلب على هذا الاساس ، نجدة الاميركيين ، التي تبين انها لم تكن صعبة المنال — لانه كان للولايات المتحدة الهدف المماثل بضرورة سحق النضال الوطني الاستقلالي ، ولكن مخططات اخرى غير مخططات الفرنسيين . وكانت فرنسا تشعر بذلك ، ولكنها كانت بحاجة ماسة الى الدعم الاميركي .

● بدء التدخل الاميركي

فقد كان الفرنسيون حاشدون ربع مليون جندي للحرب ومع ذلك ، لم يكد يمضي عام واحد على نشوبها حتى بدأ الفرنسيون يشعرون بالقلق، وبدا الاميركيون يهتمون بآن لا تخسر فرنسا الحرب . وفي اب ١٩٥٠ اعلن هوشي مينه من راديو الفيت مينه ما يلي :

« منذ بداية الحرب والاميركيون يحاولون مساعدة العصابات الفرنسية . ولكنهم الان تقدموا خطوة اخرى نحو التدخل المباشر في فيتنام . لهذا فان امامنا اليوم عدو رئيسي واحد — العصابات الفرنسية — وعدو اخر هو المتدخلون الاميركيون » .

ومن ثم اعلن الراديو : « عاش الماريشال ستالين ! عاش الرئيس ماوتسي تونغ ! وعاش الرئيس هوشي مينه ! » — وهكذا تبين بان الجمهورية لم تعد تقلل من اهمية الدور الذي يلعبه الشيوعيون في شؤونها ... ولكن كيف حافظ الشيوعيون والفيت مينه على قوتهم في المناطق التابعة للجمهورية ؟ ان اهم عوامل هذا اللقاء والتعايش هو كون هوشي مينه رمزا للاستقلال ، وكان هدف حكومته الرئيسي محاربة الفرنسيين . وكان الوطنيون القوميون الفيتناميون الذين كانوا يشكلون الاكثرية من الشعب، **يفضلون النضال من اجل استقلال وطنهم تحت قيادة مواطنيهم حتى ولو صدف انهم شيوعيون ، على ان يخضعوا للحكم الفرنسي ...**

ولهذا قررت الولايات المتحدة مساعدة الفرنسيين في حرب الهند — الصينية ، وكان العامل الذي دفع الرئيس ترومان الى التعجيل بنجدتهم نجاح الثورة الصينية ، اي «خسارة الصين للشيوعية» حسب وجهة النظر الاميركية . فاعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الاميركية هذا القرار في ٨ ايار ١٩٥٠ ، في باريس قائلا بان الولايات المتحدة